﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرّحمن: 78]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد تفصيل ما أعدَّ من النّعيمِ للمؤمنين جاءَ تقريرُ عمومِ خيرِه تعالى على خَلْقِهِ

لمّا دلَّ ما ذُكِرَ في هذه السّورةِ من النِّعم على إحاطةِ مبدعِها بأوصاف الكمالِ، ودلَّ بالإشارةِ إلى النِّعمة الأخيرة على أن نِعَمَه لا نهايةَ لها؛ لأنَّه – مع أنّ له الكمالَ كلَّه – متعالٍ عن شائبةِ النّقصِ؛ فكانت ترجمةُ ذلك قولَه في ختام نِعمِ الآخرةِ، مناظرةً لما تقدّم من ختام نِعمِ الدُّنيا، مُعَبِّرًا هناك بأنَّهُ الحَيُّ الباقي، لما ذُكِرَ قبلَه من الفناءِ، وهذا بما من البركةِ إشارةً إلى أنّ نعمَه لا انقضاءَ لها.

ولمّا كان تعظيمُ الاسم أقعدَ وأبلغَ في تعظيم المُسَمّى؛ عبَّرَ باسمِ الرّبِّ تعالى، ووَصَفَه بالعظَمةِ الباهرةِ، فهو المنتقِمُ من الأعداء، ونَعَتَهُ بالإكرام البالغِ الذي لا يمكن الإحاطةُ به، فهو المتَّصفُ بالجمالِ الأقدسِ المقتضي لفيضِ الرّحمةِ، فكأنَّهُ يُشيرُ إلى الاسمِ، الذي افتتح به السّورةَ، وهو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. وقد انعطف آخرُ السّورة على أوّلها على وجهٍ أعمّ، فيشملُ الإكرامَ بتعليمِ القرآنِ وغيره، والانتقامَ بإدخال النّيرانِ وغيرها، والإكرامَ بإدخال الجنّاتِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَبَٰرَكَ﴾: (برك) أصلٌ واحدٌ، وهو ثباتُ الشّيءِ، ثُمَّ يتفرَّعُ فروعًا يُقارِبُ بعضها بعضًا، يقال: برك البعير يَبْرُك بروكًا[2] (من باب قَعَدَ)، أي: وقَعَ على بَرْكِهِ، وهو صدرُه[3]، والبَرَكةُ: من الزّيادةِ والنّماءِ، والتّبريكُ: أن تدعوَ بالبَركةِ[4]. والمعنى المحوريّ لهذه المادّةِ:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 194.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برك).
(3) الفيوميّ، المصباح المنير: (برك).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (برك).

ثباتٌ واستمرارٌ مع لُطفٍ[1]، و(تَبارَكَ): فعلٌ ماضٍ لا يتصرَّفُ، أي: كَثُرَ خيرُه وإحسانُه وتَعاظمتْ وتزايدتْ بركاتُ اللّه ربّ العالَمين. أو من البِرْكةِ بمعنى الثُّبوتِ، وكلّ شيءٍ ثبتَ ودامَ فقد بَرَك. أي: ثبتَ ودامَ خيرُه على خلقه[2]، وفي معنى ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ وجهان؛ أحدهما: ثَبَتَ اسمُ ربِّك ودامَ. والثّاني: أنَّ ذكرَ اسمِه يُمْنٌ وبَرَكةٌ، ترغيبًا في مُداومَةِ ذِكرِه[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مدحَ اللهُ ذاتَهُ العَليَّةَ، إذ لا أحدَ يقدرُ على شُكرِ اللهِ حقَّ قدرِهِ سوى اللهِ

ختم النَّظمُ الجليلُ هذه السّورةَ الجليلةَ التي بدأها بذِكْر اسمِه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بمظهرٍ من مظاهرِ رحمته بخَلْقِه، وهو مدحُ ذاتِه العليَّةِ، إذ لا أحدَ يَقدرُ على شُكرِ اللّهِ تعالى حقَّ قدرِه سوى اللّهِ تعالى، فعظَّم ذاتَهُ إرشادًا إلى ما في ذلك من العطاءِ الجزيلِ والمِنَنِ العميمةِ والآلاءِ العظيمةِ، فالتَقى ختامُ السّورِ مع بَدْئِها، مزاوجةً بين رحمةِ الرّحمنِ، وكرمِ الكريمِ، بعد أنْ عرضَ البيانُ القرآنيُّ آياتِ اللّهِ وآلاءَه ونِعَمَه التي أفاضَها على عباده، وكان من حقِّ كلّ نعمةٍ منها أن يَتَلَقّاها الثَّقلان بالحمدِ والشّكرِ، وإن كانَ حمدُهُما وشكرُهما لا يقومُ بحقِّ نعمةٍ واحدةٍ منها؛ ولهذا كان اللّه تعالى هو الذي بارَكَ نفسَه، وحَمِدَ ذاتَه؛ ليَجبُرَ تقصيرَ العبادِ، وليُؤَدّي عنهم هذا الدَّينِ الذي عَجَزوا عن أدائِه، حتَّى لا يَقْطَعَ عنهم أمدادَ هذه النِّعمِ، ولا يأخذَهُم بعجزِهم وتَقصيرِهم عن أداءِ حقِّ شُكرِها وحَمْدِها. فسبحانَه سبحانَه، من ربٍّ رحمنٍ، رحيمٍ، كريمٍ، يوالي النِّعمَ على عبادِه، ثمّ يقوم عنهم بأداءِ الشّكرِ عليها، والحمدِ لها[4].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (برك).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (برك).
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 444.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 701 - 702.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ التَّعبيرِ بالأسلوبِ الخبريِّ لفظًا، الإنشائيِّ معنًى:

الجمعُ بينَ تحقُّقِ بركاتِ ذاتِه العليَّةِ، والحثِّ على الثَّناءِ عليه تباركتْ آلاؤه

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ بالأسلوبِ الخبريِّ لفظًا، الإنشائيِّ معنًى؛ وذلك لأنَّهُ لمّا كانَ الأسلوبُ الخبريُّ يُفيدُ التَّحَقُّقَ والثّباتَ والدّوامَ، وكان الأسلوبُ الإنشائيُّ يفيدُ الطّلبَ والدُّعاءَ؛ فقد جمعَ النَّظمُ بينَ هاتينِ السِّمَتَينِ، فأفادَ ظاهرُ الأسلوبِ الخبريِّ في قولِه تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ إثباتَ البَركةِ لذاتِه العليَّةِ على نحوٍ أزَليٍّ أبديٍّ، لا يشاركهُ فيه أحدٌ من خَلقِه، وأفادَ المعنى الإنشائيُّ طلبَ الثّناءِ عليه تعالى بهذه الصّيغةِ المتفرِّدَةِ، وتعليمَ الخَلقِ كيفَ يُثْنونَ عليه تباركتْ آلاؤه، وهي نعمةٌ عظمى ومِنَّةٌ كبرى، هي من مقتضياتِ رُبوبيَّتِه. فالكلامُ إنشاءُ ثناءٍ على اللهِ تعالى مبالغٍ فيه بصيغةِ التَّفَعُّلِ، التي إذا كان فعلُها غير صادرٍ من اثنين؛ فالمقصودُ منها المبالغة، والمعنى: وصْفُه تعالى بكمال البَركة، والبركةُ: الخيرُ العظيمُ والنّفعُ، وقد تُطلقُ البَركةُ على علوِّ الشّأنِ[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿تَبَٰرَكَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

صيغةُ (تبارك) خاصّةٌ باللهِ تعالى وحدَهُ، لما لها من المعاني التي لا تَليقُ إلّا باللهِ

عبَّرَ النَّظمُ بالفعلِ الماضي ﴿تَبَٰرَكَ﴾، وهو فعلٌ لا يتصرَّفُ، إذ لم يجئ منه مضارعٌ ولا أمرٌ، بل هو ملازمٌ للماضي، والنُّكْتَةُ في ذلك: أنّه لم يوصَفْ به غيرُ اللهِ، واللهُ تعالى تبارك في الأزل. وهو تعليل يناسبُ مَعنَيَيْها، فـ﴿تَبَٰرَكَ﴾ من مادَّة البَركة، وأصلها بَرْكُ البعير، أي: صدرُه؛ لأنَّ الإبلَ إذا ثبتت، واستقرّت في مكان، ألصقت صدرَها بالأرض، ثمَّ استُعيرَت في كلِّ ثبوتٍ واستقرارٍ محمودٍ، حتَّى غلبت على النّعم الثّابتَةِ الدّائمة، والأعمار الطَّويلة، فوُصفت بها، فالشَّيءُ المُبارَكُ: هو الموصوف بالدّوام والثُّبوت، وأَلْيَقُ وأحقُّ وجودٍ لهذه الصّفة هو وجود اللهِ تعالى، فهو وجودٌ مُبارَكٌ، أزليٌّ أبَديٌّ في ذاتِه وأفعاله، وهو مَنشَأُ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 276.

جميع البركات، ومصدرُ كلِّ الخيرات، والمعنى الثّاني: مِنَ البَرَكَة، بمعنى: الكَثْرَةِ مِن كُلِّ خير، وكلا المعنَيين ثابتٌ للّه تعالى، فتبارَكَ اللّهُ في ذاته ثُبوتًا وأزلًا، وفي عطاءاته كثرةً ووفْرَةً، فلا جَرَمَ حينَئِذٍ أن كانت تلك الصّيغة: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ مشتملةً على اللُّزوم والثُّبوت، مبنًى ومعنًى. وفي إيراد هذا الختم بتلك الصّيغة - بعد ذِكْرِ الآلاء الجزيلة والنِّعَمِ العظيمة - نوعٌ مِن أنواعِ الثّناء على اللّه، فكأنَّ تلك المذكورات سببٌ يستلزمُ الثَّناءَ على اللّه، فسيْقَت هذه الجملةُ مساقَ الثَّناء عليه؛ تعليمًا للخَلْق، وتحريضًا لهم على ترديدها، وذِكْرِ اللّه بها[1].

الغَرضُ من الإسنادِ إلى الاسم دونَ المُسَمَّى في ﴿ٱسْمُ رَبِّكَ﴾:

في تعظيمِ الاسمِ مبالغةٌ في تعظيمِ المُسَمَّى

عَدَلَ النَّظمُ الكريمُ عن إسنادِ الفعلِ إلى لفظِ الرّبوبيَّة، فلم يقُلْ: (تباركَ ربُّكَ)، كما قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: 1]، وكما قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 14]؛ وذلك قَصْدًا للمبالغةِ في صفة البَركة على طريقِ الكنايةِ؛ لأنّها أبلغُ من التّصريح، كما هو مقرّرٌ في علم المعاني، وأطبَقَ عليه البُلغاءُ؛ لأنّه إذا كان اسمُه قد تَبارَكَ؛ فإنَّ ذاتَه تباركتْ لا مَحالةَ؛ لأنّ الاسمَ دالٌّ على المُسَمَّى. وكذلك فإنَّ ذِكْرَ لفظِ ﴿ٱسْمُ﴾ في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ مُراعًى فيه أنَّ ما عَدَّدَ من شؤون اللّهِ تعالى ونِعَمِه وإفضالِه لا تحيطُ به العبارةُ، فعبَّر عنه بهذه المبالغةِ؛ إذ هي أقْصَى ما تسمحُ به اللّغةُ في التّعبير؛ ليعلمَ النّاس أنَّهم مَحقوقونَ للّه تعالى بشُكْرٍ يوازي عِظَمَ نعمِه عليهم[2]. وكذلك فقد آثرَ ذِكرَ الاسمِ للتّنبيه على أنَّه لا يُعْرَف منه تعالى إلّا أسماؤُه الحُسنَى؛ لاستحالةِ اكتناهِ الذّاتِ المُقَدَّسةِ، فما عرفَ اللّهَ إلّا اللّهُ[3].

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (برك)، والقرطبيّ الجامع لأحكام القرآن: 13/ 1، والآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 421.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 276 - 277.

(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 114.

لفظُ (اسمُ) مقحَمٌ للمبالغةِ، إذ فيه معنى العُلوِّ

قيل: لفظ ﴿ٱسۡمُ﴾ مقحمٌ، كالوجهِ في ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾، ويدلّ عليه إسناد ﴿تَبَٰرَكَ﴾ لغير الاسم في مواضعَ، كقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: 14]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ﴾ [الفرقان: 10]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: 1]. وقد صحَّ الإسنادُ إلى الاسم لأنَّه بمعنى العُلوِّ، فإذا عَلا الاسمُ، فما ظَنُّكَ بالمُسَمَّى![1]، وبيانُ ذلك: أنَّ المَلِكَ إذا عَظُمَ شأنُه لا يُذكَرُ اسمُه إلّا بنوعِ تعظيم، ثمّ إذا انتهى الذّاكرُ إليه يكونُ تعظيمُه له أكثرَ، وهذا من الدَّلائلِ الظّاهرةِ على أنَّ عُلوَّ الاسمِ يَدُلُّ على عُلوٍّ زائدٍ في المُسَمَّى[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ مُضافًا لكافِ الخِطابِ ﴿رَبِّكَ﴾:

في التعبير بالربوبيّة بيانٌ لعنايته وتربيته سبحانه

في قولِه تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ عبَّر النَّظمُ الجليلُ بلفظ الرّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضمير الخطاب، إشارةً إلى أنَّهُ سبحانه المُربّي لرسولِ اللّهِ خاصَّةً، بالرّسالة والتّرقية بهذا الوحي إلى ما لا يُحَدّ من المعارف، أو هو سبحانه المُتولّي لتربية المخاطَبينَ عامَّةً، والظّاهر أنّ الخطاب في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ للرّسولِ ﷺ، وفيه تشريفٌ عظيم له، والمقصود: تبليغُه إلى الذين يُتلَى عليهم القرآنُ ليَذَّكّروا ويعتبروا، فهو المحسنُ إليكَ أيُّها الرّسولُ بإنزالِ هذا القرآنِ، الذي جَبَلَك على مُتابَعَته فصرتَ مَظْهَرًا له، وصارَ خُلُقًا لك، فصارَ إحسانُه إليك فوقَ الوصفِ[3].

وفي استحضارِ الجلالةِ بعنوان (رَبِّ) مضافًا إلى ضمير المخاطَبِ وهو النّبيّ ﷺ، إشارةٌ إلى ما في معنى الرّبِّ من السّيادةِ المشوبةِ بالرَّأفةِ والتَّنميةِ، وإلى ما في الإضافةِ من التّنويهِ بشأن المضاف إليهِ، وإلى كون النّبيّ ﷺ هو الواسطةَ في حصولِ تلك

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 72.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 383.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 194.

الخيراتِ للذين خافوا مقامَ ربّهم بما بَلّغَهُم النّبيُّ ﷺ من الهدى[1]. وقيل: الخطاب لكلّ سامعٍ، ليَعُمّ كلَّ مخاطبٍ[2]. وكذلك فقد عدل النَّظمُ عن عدمِ الإضافة مطلقًا، فلم يقلْ: (تَبارَكَ اسمُ الرَّبِّ)؛ وذلك لأنَّ في إضافةِ الضّمير إلى الرّبِّ تعالى إشارةً إلى اللّطفِ، والموضعُ موضعُ بيانِ اللُّطفِ وتعديدِ النّعم، فلو قال بلفظ الرّبّ، لم يدلّ عليه الخطاب. وفي لفظِ الرّبِّ عادةٌ جاريةٌ، وهي أنّه لا يُترَكُ استعمالُه مع الإضافة. فالعبدُ يقولُ: (رَبَّنا اغْفِرْ لَنا)، و(رَبِّ اغْفِرْ لي)، واللّه تَعالى يَقولُ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾ [الشّعراء: 26]، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 1]، وحيثُ تَركَ الإضافةَ ذَكَرَهُ مع صفةٍ أخرى من أوصافِ اللّفظِ، فقالَ تَعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ [سبأ: 15]، وقالَ أيضًا: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: 58][3].

الغَرضُ من الإضافةِ إلى لفظ الرّبوبيَّةِ في ﴿ٱسْمُ رَبِّكَ﴾:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظ ﴿ٱسْمُ﴾ إلى لفظِ الرّبوبيَّةِ؛ للدّلالةِ على أنَّهُ تعالى هو المُنْعِمُ والمُرَبّي والواهبُ لكلِّ ما سبقَ من الآلاء الدّنيَويَّةِ والأُخرويَّةِ، فلا مُعطيَ لها سوى الرّبِّ تعالى. وقد آثر البيانُ القرآنيُّ التّعبيرَ بإضافةِ الاسم إلى الرّبوبيَّةِ دونَ الألوهيَّةِ؛ لما سبق ذِكرُه من النِّعَم التي بها تربيةُ الإنسانِ في الدّنيا والآخرةِ، فقالَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾. وفي مواضعَ أخرى عبَّرَ بإضافةِ الاسم إلى الألوهيّة، لما فيه من معنى العبادةِ، فقد وردَ لفظُ (اسم) مضافًا للألُوهيَّةِ في تسعةِ مواضعَ، كلّها تتناول العبادات والمعاملاتِ، كما في قولِه عقب ذِكْر أحكام صيدِ الكلاب: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ [المائدة:

في التّعبير بالرّبوبيَّةِ إشارةٌ إلى جانبِ الإنعامِ والتّربيةِ والتّنمية

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 277.
(2) أبو حيّان الأندلسيّ، البحر المحيط: 10/ 62، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 253.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 356.

[4]، ووردت هذه الإضافة كذلك في سورةِ الأنعام في أربعةِ مواضعَ، تَتَعلّق كلّها بأحكام الذّبائح، وفي سورة الحجّ في أربعةِ مواضعَ، تتعلّق كلّها بأحكام الهَدْيِ والصّلاةِ.

دلالةُ إفرادِ الخطاب دونَ التّثنية:

في الإفرادِ دعوةٌ لكلِّ مكلَّفٍ إلى العنايةِ بذِكرِ اللهِ وتمجيدِه والثّناءِ عليه

آثرَ البيانُ إفرادَ الضّمير في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ دونَ تثنيته، كما هو دَيْدَنُ السّورةِ عمومًا؛ وذلك لأنَّ في الإفرادِ دعوةً لكلّ سامعٍ من الثّقلين إلى اللهج بالثّناء على اللهِ وتمجيده بما هو أهلهُ تعالى من الذّكرِ، كِفاءَ ما أنعم عليه من النّعم الجزيلة في الدّنيا، وما سيُنعِم عليه في الآخرة، وذلك كما أفردَ الضّمير في قولِه اللهِ تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، دونَ (خافا) و(خافوا).

توجيهُ تَنَوُّعِ القراءاتِ بالرَّفعِ والخفضِ في ﴿ذِى ٱلۡجَلَٰلِ﴾:

في قراءة الرّفعِ إشارةٌ إلى اسم اللهِ (الرَّحمنُ) في أوّلِ السّورةِ

وردَتْ قراءتانِ متواترتانِ في لفظِ ﴿ذِى﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، فقرأ الجمهورُ ﴿ذِى﴾ بالجرِّ، وقرأ ابن عامر ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ بواو بعد الذّال، وكذلك هو في مصحف الشّام[1]؛ إجراءً على الاسم، وذلك يدلُّ على أنّ الاسمَ هو المسمَّى[2]، وكأنَّه يريد الاسمَ الذي افتَتَحَ به السّورةَ، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، فافتتح بهذا الاسم، فوصفَ خلقَ الإنسانِ والجنِّ، وخَلْقَ السّماواتِ والأرضِ، وأنّه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِى شَأۡنٍ﴾، ووَصَفَ تدبيرَه فيهم، ثمَّ وصفَ يومَ القيامةِ وأهوالَها، وصفةَ النّارِ، ثمّ ختمَها بصِفَةِ الجِنانِ، ثُمَّ قال في آخرِ السّورةِ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، أي: هذا الاسمُ الذي افْتَتَحَ به هذه السّورةَ، كأنَّه يُعْلِمُهُم أنَّ هذا كُلَّه خَرَجَ لكم من رَحْمَتي، فمِنْ رحمتي خلقتُكُم وخلقتُ لكم السماءَ والأرضَ والخلقَ والخليقةَ والجنَّةَ والنّارَ، فهذا

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 382.
(2) الكرمانيّ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ص: 391.

كلُّه لكم من اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، فمدحَ اسمَه، ثمّ قال: ﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ جليلٌ في ذاته، كريمٌ في أفعاله[1].

سِرُّ الجمعِ بين صفتي ﴿ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ في ختامِ السّورةِ:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، وصفَ ربُّ العزَّةِ نفسه بالجَلالِ أوَّلًا، ثمّ عطفَ عليه بصفةِ الإكرامِ؛ للدّلالةِ على أنَّهُ ﷻ صاحبُ العظَمةِ الباهرةِ، المُتَّصِفُ بالإحسانِ الذي لا يُمكنُ الإحاطةُ به، وبالجمالِ الأقدسِ المقتضي لفيضِ الرّحمةِ على جميعِ الأولياءِ، الجامعُ لصفاتِ الكمالِ اللّائقةِ، المُسْدي النّعمةَ والخيرَ، فأفادَ بذلك أنَّهُ تعالى حقيقٌ بالثّناءِ والشّكرِ[2]؛ لأنَّهُ مستحِقٌّ لذلك في ذاتِه العليَّةِ، ولِما أوْلاه من النِّعَمِ على الثّقلَينِ في الدّنيا، ولِما حَذَّرَهمُ من عواقبِ النّكرانِ والجُحودِ، ولِما أعدَّ من النّعيمِ الباهرِ لأهلِ طاعتِه في الآخرةِ.

في التّعبيرِ بالجلالِ والإكرامِ بيانٌ لاستحقاقِه تعالى الثّناءَ والشّكرَ

دلالةُ التّغايرِ في ذكرِ ﴿ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ في السّورةِ مَرّتَينِ:

وردَ وصفُ اللّهِ ﷻ بالجلالِ والإكرامِ مرَّتينِ، الأولى في قولِه: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، والأخرى في قولِه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، وقد جاءَ الوصفُ في الموضعينَ مناسبًا للسّياقِ قبلَه؛ إذْ لمّا ختَمَ تعالى نِعَمَ الدّنيا؛ ناسَبَ ذلك ذِكرُ البقاءِ والدّيمومةِ له تعالى؛ لِما سبقَ من ذِكرِ فناءِ العالَمِ، ولمّا ختم نِعَمَ الآخرةِ؛ ناسبَ ذِكرُ ما اشْتُقَّ من البَركةِ، وهي النُّموُّ والزّيادةُ؛ إذ جاءَ ذلك عَقِبَ ما امتنَّ به على المؤمنين، وما آتاهم في دارِ كرامتِه من الخيرِ وزيادتِه وديمومتِه[3]، وكذلك ففي التّعبيرِ بالاسمِ في آخرِ السورةِ ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ بقاءَ أهلِ الجنّةِ بإبقاءِ اللّهِ،

ذِكرُ بقاءِ اللهِ مناسبٌ لما سبقَ من الفناء، وذِكرُ بركةِ الاسمِ مناسبٌ للخيرِ والنّماءِ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 193.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 194، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 278.
(3) أبو حيّان الأندلسيّ، البحر المحيط: 10/ 72.

ذاكرينَ اسمَ اللّهِ، مُتَلَذِّذينَ به، ففي ذلك اليوم لا يَبْقَى اسمُ أحدٍ إلّا اسمَ الله تعالى، به تدورُ الألْسُنُ، ولا يكونُ لأحدٍ عندَ أحدٍ حاجةٌ بذكرِه، ولا مِن أحدٍ خوفٌ، فإنْ تَذاكَروا؛ تذاكروا باسمِ اللّهِ[1].

دلالةُ ختم هذه السّورةِ وغيرِها بذِكر اسمِ اللهِ:

ذِكرُ اللهِ أعظمُ النِّعمِ وأتمُّ ما يَتلذَّذُ بهِ أصحابُ الجِنانِ

من لطائفِ ختم السّورةِ الجليلِ بذِكر اسم الجليلِ وصفاتِه العظيمةِ، أنَّه تعالى ختم سورةَ القمرِ التي قبل هذه السّورة بقولِه: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: 55]، وكونُ العبدِ عندَ اللّهِ من أتمِّ النِّعم، وقال في سورةِ الواقعةِ التي بعد هذه: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: 89]، وختمها بقولِه: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة: 96]، وكذلك هاهُنا بعدَ ذكرِ الجَنّاتِ وما فيها منَ النِّعم قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ إشارةً إلى أنّ أتمَّ النِّعم عندَ اللّهِ تعالى، وأكملَ اللَّذّاتِ ذِكرُ اللّه تعالى[2]، فأصحابُ الجنّاتِ الوارفةِ متّكِئونَ على فُرُشهم ورَفْرَفِهم، يلهجونَ بذِكر ربِّهم تعالى، فـ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 383.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 383.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"